# حوارات تربوية حول تعليم الطفولة المبكرة

## (الطفل، التعليم، الخيال، اللعب، القصة)

حوار وتقديم: مالك الريماوي

نحن الآن في الطريق إلى دير غسّانة – بني زيد، طاقم «القطان»* يزور «روضة فرح»، وهذه رحلة بحث عن «مواقع» تجد فيها الطفولة اهتماماً خاصاً، وتعليماً يبنى على «المشاعر» وعبر اللعب، لذلك تأتي هذه الزيارة في نطاق توجهنا للعمل مع العاملين والعاملات في مجال الطفولة لتطوير برامج ومواد، ومن خلال تعاملنا مع العديد من المراكز والروضات، قررنا أن نعرض تجاربها وبأشكال متعددة، وفي الملف مواد متعددة حول تجارب مختلفة، من ضمنها روضة فرح، إنها روضة يراها محبوها روضة نموذجية ويسميها الرافضون لنهجها روضة «**بيت بيوت**»، ويبرهنون على وجهة نظرهم فيها قائلين: «ما هذه الروضة التي تلعب معلماتها مع الأولاد، روضة فيها يوم للتنزه في الطبيعة، ويوم لمسرح الدمى، ويوم للأنشطة الحرة... إنها روضة للعب... روضة فرح فعلاً هي هكذا؛ نموذج في تكريس اللعب والاستكشاف كعمل جاد جداً وكمنهج في التعامل مع الأطفال وتعليمهم.

منذ اليوم الأول لانتقال ابنتي إلى روضة فرح أخذت البنت تتغير. نعم، ففي صباح اليوم الأول، لاحظت أن المربية نزلت من سيارة الروضة، ونزلت درجات بيتنا، ونزلت إلى مستوى قامة ابنتي واحتضنتها من كتفيها وقالت لها صباح الخير بطريقة فيها الكثير من الدفء. لم يكن ذلك أكثر من حدث عابر، مع الأيام تحول إلى ملاحظة لافتة للانتباه، البنت تتغير، تنهض باكراً، تقبل على تناول فطورها، وتعتمد على نفسها في تحضير حقيبتها وارتداء ملابسها، وتنتظر سيارة الروضة بتلهف، ومع أني مشغول في تحضير نفسي للذهاب إلى عملي، إلا أني أخذت أنظر إليها وألاحظ التغيير، وعندما سألتها في المساء عن الروضة وكيفية التعلم فيها، علمت شيئاً أثار فضولي ودهشتي: فالروضة مهيكلة بطريقة مغرية، ومما سمعته فهمت أن الروضة عبارة عن ثلاث غرف وساحة مسقوفة، في الغرفة الأولى ألعاب مخصصة للتركيب والتحليل وأشكال هندسية للبناء وغير ذلك، في الثانية ألعاب يدوية وأشغال، سيارات وأدوات مطبخ، وغرفة نوم لطفل (بيبي) مقسمة على شكل زوايا متخصصة، وفي الثالثة طاولات وكراسي للرسم والتلوين والتشكيل بالمعجونة، وفي الساحة المسقوفة رمل وأدوات عمل وأراجيح ومجسمات لحيوانات، وطيور وزواحف... وأن الأطفال موزعون على ثلاث مجموعات «شعب» حسب العمر، لكل شعبة معلمة، وكل شعبة تمر يومياً على الأماكن الأربعة بشكل تتابعي، وهذا ما أكدته زوجتي، حيث نسقت معلمات الروضة لها زيارات عدة لكي تقضي يوماً كاملاً مع ابنتنا.

لم يعد الأمر مجرد ملاحظات عابرة، أصبح موقفاً للتفكير والتعمق، وأخذت أراقب وأندمج، أسمع وأناقش، ولاحظت توقد الطفلة وحيويتها، وبخاصة في يومي الثلاثاء والخميس، نوم قبل العادة، استيقاظ مبكر، نشاط واشتعال، عرفت منها أن يوم الثلاثاء هو يوم للتنزه في جبال القرية وأزقتها وشوارعها، ويوم الخميس يوم مسرح دمى... ملاحظة أخيرة، في اليوم الذي قامت مدرّسة الروضة بزيارة ابنتي «طفلتها» لتقضي معها شطراً من اليوم في البيت، ولدت ابنتي من جديد... هذا ما كتبته قبل عشر سنوات، ونشر في مجلة «رؤى تربوية»، أتذكره اليوم وأعيد نشره كجزء من تقرير حول تجربة روضة فرح.

أحلام التي أسست الروضة وواكبت مسيرتها، تقول إنها من خلال «**المعايشة الدائمة للأطفال**»، تمكنت أن تبقى طفلة، وتقول إنها لم تكبر، وتضحك متسائلة: **أين ذهب عمري؟** وأين ذهبت الأيام والسنون؟ وتجيب: توزعت على الأطفال، أعطيهم عمري، أقضي معهم ثلاث سنوات، يكبرون ويذهبون، ويأتي أطفال صغار فأبقى صغيرة، لكن ما يعطيني السعادة، **هو أنني أترك فيهم أثراً لا ينسى**، فمعظمهم أصبحوا كباراً شباباً وآباء وما زالوا ينظرون لي «الأم الطفلة»، إنهم يفهمون ما يحدث، أراهم وهم صغار مع أمهاتهم بعد ذهابهم للمدارس، فينظرون إليّ نظرة كلها حب وأمومة ويوارونها بخجل واسترقاق النظر إليّ، ويكبرون أكثر ويصبحون آباء فيعودون مع أبنائهم يبحثون عن أحلام التي كانت تلعب معهم وتعلمهم لتلعب مع أطفالهم وتعلمهم، يدركون جيداً أهمية ما حدث معهم في الروضة.

بعد كل هذه التجربة وما رافقها من "مراكمة للخبرة"، أعتقد أن "في هذه الروضة" وبين جدرانها القديمة جداً مسيرة مثيرة، ومفاعيل تجربة ممتدة في بناء الأطفال كشخصيات فاعلة، وفي بناء الأطفال لشخصية المربية كطفلة، ولتجربتها كمربية. إن الطفولة هي منهج وإحساس وطريقة في رؤية العالم، فللأطفال عيون براقة متسائلة "تندهش من كل شيء" . . . إنها عيون آدم في يومه الأول.

من المثير في الروضة هو أن الأطفال في إجابتهم عن سؤال ماذا تحبون في الروضة يرددون ثلاث كلمات، هي في ترتيبها توحي بمنهج العمل في الروضة: اللعب، المعلمات، القصة والمسرح. إن ذكر الطلاب للمعلمات بين مفردات اللعب والقصة، يلخص قصة الروضة، ويبني مسرح عملها؛ تعليم مكثف يدرج المنهاج التعليمي داخل فضاء من اللعب الجاد الذي يوظف السرد والقصة والمسرح والدمى والاستكشاف الحي في الطبيعة، من خلال فيض عاطفي متوهج بالحس والشعور، تبثه المعلمات في الجو، فتتأجج مشاعر الأطفال، وترتفع وتيرة مشاركتهم في الجو من خلال تعبيرات متنوعة، أصوات وضحك، وتصفيق وغيره.

إن ما في الروضة من عمل "للخيال" يجعل الروضة بكاملها تحلق على خيال كأنه بساط الريح، ولكنه لا يبعد الروضة وأطفالها عن الواقع، بل يأخذهم إليه، عبر ممكنات الاستكشاف وطاقات الخيال، وعبر "فاعلية العملي"، فثمة يوم للترحال في أحضان الطبيعة؛ ترحال ينتج عنه في الربيع قلادة من الزهور، أو باقة ورد أو بطاقة معايدة، وأذكر في هذا الصدد "أن ابني (وجد) عندما كان في روضة فرح أحضر لأمه بمناسبة عيد الأم بطاقة من عمله، بإشراف المعلمات، وكانت مزينة بتلوينات وكلمات بخطه، وقد قال لي لا تزعل "تغضب"، اليوم عيد ماما وبدي أحكي مع المعلمات عشان يعملوا عيد للآباء". ويتحول في موسم الزيتون إلى "جمع حبات الزيتون" التي يقوم الأطفال بتصنيعها مخللاً، لتتحول بعد فترة إلى جزء من وجبة الفطور، وصناعة لمعجونة "الملتينة" بشكل طبيعي حيث يقوم الأطفال بصناعتها واللعب بها.

أحلام في كلامها عن الروضة "تذكر أن ابنها" صالح كان معها في الروضة منذ "كان" عمره أربعين يوماً حتى أكمل عامه السادس، وانتقل إلى المدرسة. تقول إنه عندما يحكي طفولته وذكرياته "تختلط عليه الأمور" فالبيت هو الروضة، والمربية أحلام تحتل مكان الأم بالكامل، تقول إنه عندما يزور الروضة مع بعض أصدقائه يبدأون في استعادة الذكريات، هنا حدث كذا وهنا . . . . في إحدى المرات كان معهم زميل لهم لم يكن في روضتنا، كان من روضة أخرى، وبينما هم يتحدثون عن ذكرياتهم، يعلن تذمره قائلاً: لماذا لم أكن معكم، فأنا بالكاد أتذكر روضتي، وبالكاد أتذكر وجوه المعلمات، لقد اختفت روضتي ولم تعد موجودة، وبذلك ضاع جزء من ذاكرتي. ولذلك، يجب أن تبقى هذه الروضة لأنها مستودع فيه الكثير من الذكريات أولها ذاكرتي أنا، ذاكرة أحلام المعلمة، وأحلام الأم، وذاكرة أحلام الطفلة، التي تلعب منذ ثلاث عقود مع الأطفال تعلمهم وتتعلم منهم.

وعندما سألناها "عمن كانوا في الروضة" ثم ذهبوا ليعودوا أباء وأمهات لأطفال في الروضة، فتقول أن هذه الظاهرة من الأشياء المثيرة، فطلابنا من قريتي دير غسانة وبيت ريما، وأنا أعرف الأطفال وأهاليهم، وأحياناً أرى في الطفل أو الطفلة أمه أو أباه عندما كان طفلاً، وكثيراً ما يفعل الطفل "عملاً ما" يشبه ما كان يفعله أحد أبويه عندما كان طفلاً، ويسعد الأطفال كثيراً عندما أحكي لهم أن أمه أو أباه قد عمل الشيء نفسه، وتضيف لا يمكنكم أن تتخيلوا حجم المتعة التي أحسها في عيونهم، عندها أعود إلى أرشيف الصور، واستخراج صور الأب أو الأم، وأحكي للطفل عن ذكريات أحد والديه أو كليهما، فعندما نحتفل بعيد ميلاد طفل من أطفال الروضة بوجود أمه، وبعد الحفلة أستخرج صوراً قديمة فيها أمه أو أبوه يوم احتفلنا بعيد ميلاده قبل سنوات، أحس أن ذلك يؤثر كثيراً على حب الأطفال للروضة، ويحدث كلاماً في البيت، **وكأنها تقصد متعة الطفل عندما يمتد في ذاكرته إلى طفولة الأب، وترى أن الكلام للأطفال عن خبرات والديهم الطفولية، يقوي التواصل ويضيف للطالب ءخبرة ليست خبرته لكنها (تخصه) فهي ملك والديه، وهذا يبين أن الصورة وسيط قوي في إعادة تخيل الآباء كأطفال، ما يؤدي إلى: زيادة انتماء الأطفال للروضة، فهي روضة الآباء أيضاً، ويزيد من «تواصل الأطفال ووالديهم»، فثمة ما هو مشترك جديد بينهم، الروضة نفسها، المعلمة نفسها، الصورة، والمناسبة نفسها؛ مناسبة الاحتفال بعيد الميلاد.**

روضة فرح ثلاث معلمات ومساعدة وستون طفلاً وطفلة في موقع مكاني يمثل مركز "البلدة القديمة" في دير غسانه-بني زيد، موقع بين جدرانه القديمة تنمو قصة حياة مشتركة، عائلة كبيرة من ثلاث أمهات وستين طفلاً، ستون طفلاً يتجددون كل سنة، عشرون يتخرجون إلى المدارس، وعشرون جدد، الجدران نفسها، جدران قديمة من حجارة صلبة، خشنة الملمس، توحي للرائي أنها صخور تكونت من الملح، ملح هو في الأصل دموع من بنوها وعرقهم، إنها بيوت قديمة ليست من حجارة فحسب، بل هي مبنية من عرق وتوق من بنوها في إصرارهم على البقاء، إنها حجارة قديمة وهندسة غارقة في القدم، هي علامة على زمن كان لنا، وهي اليوم مكان نصنع فيه الزمن ليبقى لنا.

الجدران مع الزمن تزداد عراقة، والأطفال يركضون كنهر يجري باستمرار، جيل يحضر بعد جيل، من تخرجوا منذ سنوات يحضرون اليوم مع أطفالهم، ليشاركوهم حفلة عيد ميلادهم، في المكان نفسه الذي حدثت فيه حفلة عيد ميلادهم قبل عشرين عاماً، كل ذلك يتحرك، والمعلمات يحفظن القصة ويقفن هناك كأنهن حارسات الذاكرة وراويات القصة، قصة روضة هي روضة للفرح، وهي قصة روضة "فرح" وهذا اسمها الرسمي، في حين أن الناس يسمونها بروضة أحلام. كل الأوراق تقول إنها روضة "فرح"، واللوحة المعلقة تقول ذلك، لكن الناس تردد روضة أحلام. ولم يتساءل أحد عن السبب، فالكل يتواطأ وكأنه يعرف الإجابة، إنها روضة أحلام، لأنها تجسد أحلام الأهالي بروضة يجد فيها أطفالهم الحب والمتعة والتعلم، أو لأن أحلام من أسستها وبقيت تطعم الروضة من روحها سنة بعد سنة، وفي هذا السياق توجهنا إلى روضة فرح لإجراء حوار مع أحلام وزميلتيها سحر وميسون.

أحلام تستقبلنا على باب الروضة، بالابتسامة نفسها التي تستقبل بها الأطفال يومياً، إن هذه الابتسامة هي سر روضة أحلام، لكن ما سر هذه الابتسامة التي عمرها "ثلاثون عاماً" منذ ما يقارب الثلاثين، وهذه الابتسامة هي بوابة عبور الأطفال لروضة فرح، إنها شعار روضة فرح، من لا يعرف أحلام سيتخيلها "ابتسامة في لوحة" مثل لوحة الموناليزا، لا هي ليست ابتسامة في لوحة، بل هي معلمة ومربية وأم، بل هي روضة في ابتسامة. إذا كان سر روضة فرح هو في تلك الابتسامة التي تمثل منهج عمل للمعلمات الثلاث، حيث هذه الابتسامة يكن خلفها موقف من الطفولة، أو ما يكمن خلفها هو الطفولة نفسها، بما فيها من إحساس عالٍ بالفرح، وانغماس في الأشياء، ودفء في العلاقات، إنها تلك القدرة الغريبة على الوضع الدائم لحكمة التجربة، وتوهج الشباب في عواطف الطفولة.

في الحوار مع أحلام قالت إن سحر تتألق وهي تسرد القصص وتمثلها من خلال مسرح الدمى، وأردفت في البداية كنت أنا من يقوم بذلك، وشجعت سحر وميسون وبدأتا في التجريب، اليوم هما أفضل مني، بعد لحظات ستشاهدون سحر تحكي قصة من خلال مسرح الدمى، وقصة من خلال الصور وتحريكها على لوحة الفانيلا، . . . فعلاً بعد لحظات اختفت سحر خلف الستارة لتتألق عملاً وقصاً، صوتها يظهر ويختفي، في جو من الهدوء الكامل، الأطفال عيون تبحلق وآذان تسمع، وسحر تتحول إلى سارد ومحاور وممثل لأصوات شخوص القصة الأرنب سوسو، وأمه، والثعلب، والغوريلا، أصوات ونبرات متعددة، زقزقة العصافير، صوت الريح، نبرات الخوف، كل ذلك يتحول إلى حكاية تترجم عند الأطفال، ضحكات وعلامات على الوجه وحركات بالأيدي، ومتابعة بالصراخ لتنتهي بالتصفيق.

وكما تتألق سحر في رواية القصة، وفي تحريك الدمى، تتألق ميسون في صناعة "المعجونة الطبيعية"، لميسون حس عملي عميق، هكذا تقول أحلام وتضيف: ميسون طورت لنفسها شخصية مستقلة ومنهجاً خاصاً، فهي طفلة كبيرة، لكنها ذات حس عملي، ولذلك هي تتألق في موضوعات التعليم ومسرح والقصة، ولكنها تفوقنا في الجانب العملي.

قبل عشر سنوات المعلمة ميسون تزور بيتنا، لتقضي ساعات مع ابنتنا لأنها طالبة عندها، أيام طويلة بعدها وهتاف تتحدث عن الزيارة، كلما بدأت تلعب مع ألعابها تتذكر زيارة معلمتها وتقول هذا الدب قالت مس ميسون إن اسمه كذا، وهذه الدمية أحبت المعلمة عينيها. . . اليوم هتاف في الصف الثامن، تكتب شهادة في معلماتها في الروضة.

## روضة فرح .. بيت فيه أمهات

### (شهادة الطالبة هتاف)

**عندما كان عمري ثلاث سنوات قضيت يوماً كاملاً وحدي على درج البيت.** كنت أنتظر باص الروضة، ومر باتجاه بيوت الأطفال التي تلي بيتنا، وقالت لي أمي: أبقي هنا لحظات ويعودون ويأخذونك إلى الروضة، وذهبت لعملها. وبعد لحظات عاد باص الروضة وتحركت باتجاه الشارع ورأيت السائق الذي كان يضحك ورأيت المعلمة التي يبدو أنها قد نسيت نفسها، تخيلت أن السائق يريد أن يقف بعد البيت في الفسحة الأوسع بقيت متأملة وقوفه وحتى عندما غاب عن نظري بقيت أعتقد أن المس أو السائق أو أحد ما سيتذكرني ويعودون لأخذي، وعندما لم يعد أحد أخذت في البكاء، وبما أن البكاء لم يحل المشكلة فلن يسمعني أحد فبيتنا في منطقة سكنية جديدة، والبيوت فيها متباعدة، دار جدي ذهبوا لقطف الزيتون، أمي وأبي في عملهما، لا شيء سوى صوت قاطفي الزيتون يتسلل لي من مناطق متعددة وحركة السيارات في الشارع الرئيس.

وحتى لا أصبح ليلى وأبقى خائفة من مجيء الذئب، بدأت أتخيل أني في الروضة، وجمعت بعض ألعابي الموجودة في شرفة البيت وحديقته، وبدأت ألعب وأحكي مع صديقاتي، ثم تخيلت أن الوقت قد مر والآن فقرة الكتابة والتلوين، فأخرجت دفتري وبدأت أكتب وألون، وبعدها أخرجت ساندويشتي وتناولت فطوري، ولم أكن أعرف أن ما مر من وقت لم يكن طويلاً، ولم أعرف ذلك إلا بعد أن أكملت برنامج اليوم كاملاً، في حين أن اليوم ما زال في أوله، فلم يأت أذان الظهر، ولم تمر سيارة الروضة عائدة بالأطفال، ولم تأت أمي، وبدأت أمضي الساعات وحدي بالجوع والملل . . . يا إلهي ما أطول اليوم! وهل كنت أقضي كل هذا الوقت في الروضة، وبقيت فريسة للخوف إلى أن جاءت أمي الساعة الثانية بعد الظهر.

وفي اليوم التالي جن جنوني عندما جاء موعد ذهاب أمي للعمل

وأخذت أمسك بيديها وبثوبها وأنا أصرخ لا تتركيني سينسونني ويأكلني الذئب، وأموت من الجوع والبرد والملل، وقررت أمي نقلي من الروضة، ووقفنا على الشارع فمر باص روضة فرح فأوقفته أمي وفتحت مس أحلام الباب، وقالت لها أمي: إنها ستسجلني في الروضة، فأمسكت بي مس أحلام وحملتني وأجلستني بجانبها.

وفي يومي الأول قامت مس أحلام وعرفتني على الأولاد والبنات، وكانت بين الحين والآخر تسألني وهي تمسح على شعري أذا كنت جيدة وتسأل: هل من مشكلة؟ وهل أنت جيدة؟ ولم ينته اليوم حتى أصبحت صديقة كل من في الروضة من فتيات وصبية وألعاب، ولعبت معهن في المطبخ الخشبي، وأعددنا طعاماً للدمى. ولعبنا في العجينة التي كانت تصنعها معلمات الروضة، كانت ناعمة جداً وسهلة التشكيل، وكانت معلمتي في ذاك الوقت المعلمة «سحر»، حيث قامت بضمي لمجموعتها بعد أن قالت أنا اسمي سحر وسأكون معلمتك، وتكونين بنتي. ما اسمك؟ فقلت هتاف. وكنت أحبها كثيراً، كانت حنونة جداً، تعاملنا كأننا أطفالها. في الروضة كنا نشكل أسرة جميلة، وقضيت أسبوعاً كاملاً من أجمل أسابيع حياتي، فقررت أن أكمل في هذه الروضة الرائعة.

وفي صباح كل يوم كانت هناك قبلة قلبية معها أجمل تحيات الصباح من أجمل الأفواه. أما تقسيم أيام الأسبوع فكان رائعاً، فكان يوم للمسرح وهو أجمل الأيام، حيث كانت المعلمة تخيرنا بين القصة والمسرح، فكنا نختار المسرح لأن أهلنا في البيت يقرأون لنا قصصاً، بينما لا يقومون بالتمثيل من وراء الستارة وباستخدام الدمى. ويوم النزهة كنا نذهب مشياً على الأقدام إلى أراض زراعية ذات أشجار كبيرة وفي مواسم متعددة، فكنا نذهب في موسم الزيتون، وفي موسم اللوز، ودائماً كنا نقضي وقتاً رائعاً. ويوم نلعب بألعاب السيسو والمرجيحة، وكنا نفرح كثيراً بهما، ويومان للدراسة وكان أسلوب المعلمة في تدريسنا ممتعاً جداً ومشوقاً.

كانت روضتنا كالأسرة المترابطة، حتى أن ابنة عمتي سحاب التي جلست مع أمها دائماً ولم تذهب لحضانة أو روضة وكانت لا تفترق عن أمها ولم تفارقها ابداً، حين جاءت إلى الروضة كانت تبكي، ولكنها ما لبثت أن اكتشفت أن هذه الروضة مثل البيت تماماً، والمعلمات مثل أمها في الحنان والعناية.

فكانت هذه الروضة البيت الدافئ لكثير من الأولاد، أما عندما يتخاصم الأولاد فالمعلمة لا تضرب، بل تجعل الشخص الذي ضرب يعتذر والمضروب يسامحه بعد أن تأكد للمضروب أن ما حصل مجرد خطأ غير مقصود، وتأخذ وعداً ممن ضرب بأن لا يكرر ذلك، وإذا كرره تجعل المضروب يضرب خصمه، هذا إذا كان ضربه عمداً، وكن غالباً يحاولن الإصلاح خصوصاً بين الفتيات، والقول إنها لم تكن تقصد هذا، ويعملن على تصفية قلوبنا من كل حقد، فكانت الخصومات قليلة، خصوصاً بين الفتيات، أما عندما يتنمر طفل على الفتيات ويحاول تخريب ألعابهن وبيوتهن، فقد علمتنا المعلمة أن نقف مع بعضنا ونجعله يخاف ويتوقف عن تخريب ألعابنا، وفي كل مراحلي في الروضة في بستان مروراً بصف مس ميسون الرائعة ومس أحلام النادرة الوجود، كانت أفضل روضة على الإطلاق، وكانت هذه الروضة البيت الدافئ والأسرة الجميلة.

اليوم أنا في الصف الثامن الأساسي، وأتذكر السنوات الثلاث التي قضيتها في روضة فرح، أتذكرها وأتذوق حلاوة أيامها، جولات فصل الربيع والقلادة الأولى التي صنعتها، أول بطاقة معايدة أصنعها قد قدمتها لأمي بمناسبة عيد الأم، تعلم الأحرف والأرقام، المسرحيات والقصص، مناسبات أعياد الميلاد، زيارة المعلمة ميسون لبيتنا وقضاء وقت طويل معنا، كل ذلك هو أنا وروضة فرح، فأنا كنت طفلة داخل روضة فرح، والآن روضة فرح طفلة ما زالت في داخلي.

# حوار مع المربية أحلام

› «رؤى تربوية»: سيدة أحلام، نرحب بك أولاً ونسألك، بعد هذه التجربة العميقة والطويلة من التعامل مع الأطفال في الروضة والأسرة معاً، كيف تنظرين للطفل؟ وما هي أهم احتياجاته طبقاً لتجربتك؟ كيف نجعل من الروضة مكاناً يحفظ للطفل نمو خياله وقدرته على إطلاق ممكناته؟

› أشكركم على هذه الثقة. أنظر للطفل كعالم ينمو ولهذا فهو دائم النظر والسؤال وكأنه يبحث أين تكون الخطوة التالية، ولذلك فإنني أتقبله كما هو، وأرى في منطق الأطفال وسيلة أستعين بها في فهم نفسي بدل أن أفسرهم من منطقي، ورأيي أنهم هدية نحصل عليها؛ سواء في العائلة وفي العمل، فأنا أتعامل معه بكل أحاسيسي، وأتفحصه من أول يوم لي معه، وأستطيع أن أعرف أحاسيس كل طفل واحتياجاته، وأنزل إلى مستوى كل طفل، بل إنني أشعر أحياناً كثيرة أنني لم أكبر وأنني ما زلت في عمر الـ 5 سنوات. احتياجاتهم أن يشعرون بالحنان، أو بشكل أكثر دقة بالطمأنينة، أن يشعر أن الروضة بيته الثاني، والمربية مكان أمه في الروضة، أن نستمع له قدر ما نستطيع، نعطيه حقه من وقتنا، ونكون أقرب ما نكون له، ندلله، لكن بحدود، وذلك حتى يكون قادراً على التعامل مع الآخرين في المستقبل. دائما أشاركهم في كل ما يعملون، وفي بعض الأوقات ألعب دور الرقيب، استمع لأحاديثهم مع بعض، لقصصهم، لتجاربهم، لخيالهم.

› بناء على احتياجات الطفل التي ذكرتيها، بماذا يجب أن تتصف المربية/ المعلمة لتتمكن من «التعامل المجدي والفعال» مع الأطفال؟

› أهم شيء يجب أن تتصف به المربية قلب كبير يرى، عقل صبور يحلل، أن تكون عطوفة لأبعد الحدود، متفهمة لظروف كل طفل، قادرة على استيعاب أي طفل بأي ظروف كان، أن تتصف بالعطاء والحب الدائم.

› هل تحكي لنا كيف تحققين أنت وزميلاتك (سحر وميسون) ذلك في روضة فرح؟ أي كيف تتعاملين مع الأطفال؟ ولماذا تفعلين ذلك؟

› أخرج من بيتي كل يوم الساعة السابعة وأترك كل ما لا يتعلق بالروضة في البيت من هموم وضغوطات وغيرها، ولا أفكر إلا في الأطفال، وماذا سنفعل في كل يوم، كيف سنجعل يومهم سعيداً من بدايته وحتى نهايته، لا أوفر أي جهد في ذلك، نستقبلهم بأحلى الكلمات والمصافحة الحميمة والقبلات التي تشعرهم بالأمان، ثم يبدأون يومهم ويتوزعون على كل ركن من أركان الروضة، ثم يتبادلون الأماكن . . . وهكذا حتى نهاية اليوم، وبذلك لا يشعرون بالملل. في نهاية اليوم يكون حديث الختام واسترجاع لليوم، ويبدأون بتجهيز أنفسهم للمغادرة الساعة 12 ظهراً.

› هل تتذكرين حالات معينة لأطفال حيث حدث معهم مواقف غريبة، وتصرفات مفاجئة، أسئلة ذكية، ملاحظات ما، أدهشتك وكيف تتصرفين لحظتها. نود لو تسمعيننا قصصاً مثيرة حول تجربتك؟

› من المؤكد أنه حصل معي خلال هذه السنوات الطويلة مواقف وتصرفات غريبة؛ على سبيل المثال اذكر منها الآن: طفلة في عمر 5 سنوات كانت قائدة بكل معنى الكلمة، وتستطيع أن تقود مجموعة من حوالي 16 طفلاً وحدها، ودون مساعدة في أي نشاط كنت اختاره لها. هناك طفلة أيضاً بعمر 5 سنوات كانت تحكي لنا القصة متكاملة، لا تنسى أية تفاصيل حتى لو كانت صغيرة. كذلك جاءني طفل مرة، وقال أريد أن أطلب منك شيئاً ويبقى سراً بيننا، فأعجبتني طريقته، وقلت له أنا موافقة، اطلب ما تريد. فقال: كلما لعبنا لعبة صياد السمك لم أفز بها ولا مرة، وكل أصدقائي فازوا بها، وكانوا سمك القرش، أريدك أن تكوني الصياد وأن لا ترمي الكرة علي، وبذلك أصبح قرشاً مثلهم. وهذا يبين مدى ثقتهم بي، ومدى احتياجهم للتميز، وفعلاً لعبنا وانتهت اللعبة، وهو واحد من ثلاثة كانوا سمك القرش، وأحسست أنه يتفجر فرحاً.

› ما أهم محطات عملك كمربية؟ والآن في هذه اللحظة كيف ترين مسيرتك السابقة؟ كيف تحكيها الآن؟ ما أهم ما تعلمته منها؟ وما هي اللحظات التي شكلت تغيرات مهمة في مسارك المهني على صعيد الخبرات، والتغيرات في القناعات والرؤية والحصيلة المعرفية؟

› المرحلة الأولى من عملي بدأت كتجربة لم أكن أدري هل ستكون موفقة أم لا، ولكن مع مرور السنين قبلت التحدي، وتحملت الكثير حتى أصبحت الروضة جزءاً مني، جزءاً من حياتي، وأنا جزء منها. أنا لا أستطيع أن أتنفس دونها، وهي لا تستمر من دوني، تطوعت الكثير، وأعطيت الكثير، ولكن الروضة والأطفال أعطوني أكثر، كنت استمد الطيبة والعفوية والبساطة والعطاء والفرح والسعادة من خلالهم، اكتسبت خبراتي من احتكاكي بهم طيلة هذه السنوات، الآن وبعد كل هذه السنين أرى أن حياتي كانت نوعاً ما موفقة، لأنني تركت ولو تأثيراً بسيطاً في قلب كل طفل.

› لنعد بأحلام إلى الماضي، ماضي التجربة، احكي لنا عن تاريخ روضة فرح، متى أسست؟ وكيف؟ أهم المحطات والتغيرات؟ وما هي تطلعاتك المستقبلية اتجاه الروضة؟

› أسست روضة فرح العام 1983 بجهود بعض صبايا القرية وشبابها، وبالتعاون مع جمعية المرأة العاملة في ذاك الوقت، وكان ذلك تطوعاً كاملاً دون أي مقابل. بعد 4 سنوات، وفي العام 1987، بدأت جمعية المرأة تعطي المربية مبلغاً رمزياً لا يتعدى 25 ديناراً في ذلك الوقت، بعدها وفي العام 1994 قررت جمعية المرأة إغلاق كل الروضات في كل القرى، ومن ضمنها روضة فرح، وبقيت أنا ومربية أطفال ثانية حوالي سنة ونصف دون راتب، حتى طلبنا مساعدة من الإغاثة الطبية، وبسبب تاريخ الروضة الطويل وصمودنا كل هذه السنين، قررت الإغاثة الطبية أن تقدم لنا بعض المساعدة حتى نستمر ونقف من جديد، وبقيت كذلك حتى هذا اليوم. أتطلع إلى أن تكون روضة فرح بالعاملين فيها كافة متميزة في كل شيء، بعطائها، بقوتها، بثباتها، وباستمرارها أن تكون قدوة في تجربتها لباقي الروضات المناضلة والفقيرة.

› لو تخيلنا أحلام دون روضة فرح، فما الذي ينقص منها أي أحلام؟

› أحلام دون روضة فرح لا أعتقد أنني سأكون شيئاً مهماً ومؤثراً، فمن الصعب أن أتخيل حياتي دونها، فهي المعنى لحياتي، ارتبطت بها وارتبطت بي، ومن الصعب سلخ إحدانا عن الأخرى.

› ماذا لو تخيلنا العكس؟ روضة فرح دون أحلام؟

› روضة فرح دون أحلام. مؤكد أنه سيكون هناك روضة، ولكن لا أدري هل كانت ستبدو كروضة فرح اليوم بعد كل هذا العناء والنضال من أجل البقاء والصمود، وكما أن روضة فرح هي استمرار لي وبقاء لوجودي، دعني أطمع وأقول إنني أيضاً استمرار لوجودها وبقائها.

› في النهاية نود العودة للموضوع الجوهري ألا وهو الأنشطة، نوعية الأنشطة التي من خلال تجربتك تحسين أنها مناسبة للأطفال، أي ما طبيعة الأنشطة التي تناسب الأطفال، مع ذكر أمثلة من تجربتك أنت وزميلاتك؟

› الأنشطة الأكثر تأثير على الأطفال هي الأنشطة التي لها صلة بطبيعتهم، وهم شديدو القرب من الطبيعة، ولذلك فهم شديدو الولع بالحركة في الطبيعة وجس مكوناتها، وهي ذات قدرة غريبة على إثارة الأسئلة فيهم، وبالتالي فالتجوال في الفضاء الطبيعي هو مجال مناسب لفهمهم من خلال الأسئلة التي يسألونها، ومن خلال الأحاديث التي يحكونها، وكذلك الأنشطة العملية التي يشتركون بها بأيديهم وأحاسيسهم، فهي في الغالب تتحول إلى قصص وألعاب وتمثيل لأدوار الكبار، وأيضا القصة بأشكالها كافة، ومسرح الدمى، وأنشطة الحركة، واللعب الخارجي بالرمل، والزراعة، وغيرها. على سبيل المثال، إذا أردنا أن نفرض الهدوء على الروضة بعد فوضى لسبب ما، نجمع الأطفال في الساحة، ونقدم نشاط مسرح دمى، أو غناء، بمشاركة الأطفال، وبذلك نفرض الهدوء التام دون أية مشاكل.

› أود أن أسمع منك حول (أهمية أن يحكي الأطفال قصصاً)، أو أن نحكي لهم قصصاً، هناك معلمة تحكي كيف أن طالباً قال لها: هل ركب البطل فرس الأرض أم فرس السماء؟ وأن المعلمة لم تفهم قصده فقد سألته وما الفرق؟ فأجاب، الفرس العادية هي فرس الأرض وأما فرس السماء فهي الريح. وهذا يدلل على خيال الطفل ومدى فاعليته، فكيف توظفين القصة؟ وما أهميتها في تطوير قدرات الطلاب على الحكي والتعبير وتنمية الخيال؟

› مهم جداً أن يستمع الأطفال للقصص؛ سواء أكانت مقروءة أم محكية أم من خلال المسرح أم من خلال أشخاص يتحركون على اللوحة أم أن يمثلونها هم أنفسهم. هذه هي متعتهم الحقيقية. خلال هذه السنوات مر علينا الكثير من الأطفال الذين كانوا يسردون ويحكون القصة أجمل وأروع ما يكون، والجميل في الموضوع خيال الأطفال الواسع، خصوصاً عندما تعيش معهم في هذا الشعور، يسترسلون بالحديث كما لو كانت القصص والحكايات حقيقية وغنية بالأحداث، للأطفال قدرة عجيبة على ابتكار القصص، ولهم أيضاً طريقة خاصة في فهمها.

› في النهاية، كيف تصفين تجربتك مع سحر وميسون؟ ماذا تقولين لو طلبنا منك وصف كل منهما بجملة؟ هل تودين أن تحكي عن أي شيء تعتقدين أنه من الضروري الحكي عنه؟

› تجربتي مع سحر وميسون جميلة وغنية ومليئة بالتجارب والأحداث، هناك تعاون ومشاركة وحب للعمل والأطفال، وهناك أمور من الصعب أن نتشابه فيها، ولكن ليس مطلوباً أن تجعل الآخر يتصرف كما تريد، فكل واحدة منا لها شخصيتها التي تميزها بمجال العمل، ولها أسلوبها الذي اختارته من خلال سنين الخبرة والتجربة. سحر شخصيتها قوية، وكثيراً ما تكون قريبة من الأطفال، وتنزل إلى مستواهم، وتعرف كيف تكون قريبة منهم، وأراها تتألق وتكون في قمة عطائها في مسرح الدمى واللعب الخارجي. ميسون أيضاً لها شخصيتها المستقلة، وتعرف كيف تتصرف في الظروف الصعبة، وتكون على قدر كبير من المسؤولية، وأراها تحقق وجودها في سرد القصة،

بأنواعها كافة بما فيها مسرح الدمى، ولديها حس عملي عالٍ يميزها دوماً.

› أخيراً، أحلام هل تودين أن تقولي شيئاً لم نسأل عنه، وبخاصة أنني أعرف أن لك تجربة طويلة لا يمكن لحوار مهما طال أن يجلوها، وأن هناك صراعات ومسائل متشابكة تميز العمل في القرى؟

› لا أدري إذا كان من الصائب في هذه الظروف الصعبة للبلد أن أتحدث عن تجربتي وعنائي ونضالي مع الذين يدّعون أنهم حراس القداسة على هذه الأرض، لأن هذه التجربة طويلة وقاسية، ولكن لنتركها للزمن، وسأبقى وفيّة لروح الأطفال، فالأطفال علموني سرعة النسيان وسهولة الصفح، يختلفون، يبكون، يتصارعون. وبينما أنا أفكر كيف أحل الأشكال بينهم يتصالحون وينطلقون في اللعب والتعاون.

## حوار مع سحر

› الاسم الكامل، والخبرة ووصف سريع للتجربة؟

› أنا سحر محمد البرغوثي، وينادونني بأم وطن، بالإضافة إلى عملي في الروضة فإنني عضوة نشيطة في المبادرة الوطنية الفلسطينية . . . وأنا كذلك مديرة مركز الكمنجاتي – دير غسانة لتعليم الموسيقى. أنا أيضا أم ومربية روضة منذ ثلاثة عشر عاماً، ثلاث عشرة سنة من الخبرة. . . . ». أول ما بدأت التجربة كنت خائفة جداً، ولكن تعاملي مع الأطفال وحبهم لبعض، جعل حاجز الخوف يزول سنة بعد سنة . . . وكل عام اكتسب واستفيد من الأطفال أشياء جديدة وكثيرة وأضيفها إلى خبرتي ومعرفتي.

› ما هو الطفل؟ وما هي أهم الأنشطة المناسبة له؟ وكيف تفعلينها معه؟

› الطفل هو كل شيء في حياتي . . . أحب التعامل معه وأستفيد منه أكثر مما يستفيده هو مني أو من أي شخص آخر. إن الطفل حالة مرحة وسؤال دائم، فهو لا يشبع من الأسئلة، ولديه خيال يهضم كل شيء. أما بالنسبة للأنشطة المناسبة فتكون حسب العمر وحسب قدرات الطفل نفسه، ويتم تفعيلها عن طريق التعلم عن طريق اللعب . . وتقسيم الروضة إلى عدد من الزوايا . . وعن طرق اللعب والحكايات ومسرح الدمى.

› كيف تحكين (تسردين) حكايتك في روضة فرح؟ وما هي الصعوبات والتحديات التي تواجه معلمة الروضة؟

› أحكي القصة بطرق عدة؛ مثلاً: عن طريق مسرح دمى، أو لوح الفانيلا، أو التمثيل مع الأطفال، أو سرد القصة العادية مع تغيير نبرات الصوت . . . أما بالنسبة للتحديات فتتمثل في عدم تفهم الأهل للفروقات في القدرات بين الأطفال وأن كل طفل يختلف عن الآخر . . . وعدم تقبل الأهل التعلم عن طريق اللعب حتى أنهم كانوا يسمّوا روضتنا «روضة بيت بيوت».

› صفي لنا الروضة، البناء، التجهيزات، النظام، التعاون مع زميلتيك؟

› إنها روضة نموذجية بالنسبة إلى الروضات الموجودة في المنطقة من جميع النواحي، «البناء والتجهيزات والنظام» . . . لا يوجد بها نظام محدد، لأنه لا يحق لأحد أن يفرض نظامه على الطفل . . . نحن متعاونون مع بعض بشكل كبير ونعتبر الروضة بيتنا الثاني.

› صفي زميلتك أحلام وتجربتك معها بجمل قليلة.

› أحلام هي أول شخص شجعني على العمل في الروضة، وقد ساعدتني وما زالت تساعدني إلى الآن . . . وأنا لا أتخيل الروضة دون أحلام، لأنها هي أساس الروضة.

› ما أهم الأشياء التي تعلمتها من تجربتك مع الأطفال؟ ماذا يمكن للمعلمة أن تتعلم من أطفالها؟

› تعلمت من الأطفال عفويتهم وحبهم لبعضهم البعض وصدقهم وكيف أتعامل معهم . . . وأنا شخصياً أحب التعامل معهم أفضل من التعامل مع الكبار . . . تعلمت من تجربتي مع الأطفال الصبر وحب الحياة مهما كانت صعبة . . . وان أكون دائماً مبتسمة مهما كان . . . وتعلمت أيضاً كيفية التعامل مع أطفالي أنا في بيتي. . . .

## حوار مع ميسون

› الاسم الكامل، والخبرة ووصف سريع للتجربة؟

› اسمي ميسون أحمد محمد برغوثي من مواليد دير غسانة، أعمل مربية في روضة فرح منذ العام 1999، وما زالت أمارس عملي. أنا أم لأربعة أطفال، ثلاث بنات وولد، عملت مربية في الروضة بعد إنجاب أبنائي الأربعة، وكانت آخر طفلة عمرها ثلاث سنوات في بداية عملي. واجهت صعوبات بين عملي في الروضة ومسؤولياتي في البيت، ولكن بعد فترة من الزمن اعتدت على هذا الحال، وذلك أصبح أسهل، وأصبحت حياتي أكثر انتظاماً بين عملي في البيت وعملي في الروضة. أما بالنسبة لعملي في الروضة فهي تجربة ممتعة وأكثر تفاعلاً مع الحياة، وبخاصة مع

الأطفال، لأنهم أكثر إحساساً ورقة وبراءة من الآخرين، لو عملت مع أناس آخرين لوجدت بالتأكيد صعوبات أكثر.

› ما هو الطفل؟ وما هي أهم الأنشطة المناسبة له؟ وكيف تفعلينها معه؟

› الطفل كائن يملك الكثير، فهو بشكل عام ذكي وحساس، يستخدم أحاسيسه للتعامل مع الآخرين من حوله، ولكل مرحلة عمرية سلوكياتها الخاصة، ومن خلالها تبرز شخصية الطفل. ومن أهم الأنشطة الذي نقدمها في روضة فرح مع الأطفال، العمل واللعب الحر بالزوايا، واللعب في الخارج، واللعب في الرمل، لأنه أهم نشاط عند الأطفال. وعلى الرغم أنه يقلق الكثيرين من الأهل، لكنه مفيد وصحي بالنسبة للأطفال، إذ يمنحهم الراحة والإحساس بالحرية، والراحة النفسية والترفيه. ويوجد أيضاً ركن الاستكشاف، وركن القراءة والكتابة، وركن المنزل، وركن البناء والهدم، وركن الفن، وركن المسرح، وركن القصة، و ركن العلوم والطبيعة.

› كيف تحكين (تسردين) حكايتك في روضة فرح؟ وما هي الصعوبات والتحديات التي تواجه معلمة الروضة؟

› على الرغم من أن العمل في رياض الأطفال يحتاج إلى تحمل الكثير من المسؤوليات تجاه الأطفال، فإنه عمل ممتع، ولكن تواجه معلمة الروضة صعوبات، ومنها:

- دمج الأطفال غير العاديين في المجموعة، أطفال توحديون، أطفال أذكياء، أطفال لديهم صعوبات خاصة أو مشاكل أسرية أو اجتماعية.
- صعوبات خاصة بالتعلم، وعدم تركيز، وضعف في التوازن الحركي، وحركة زائدة، وصعوبة التعبير باستخدام صيغ لغوية مناسبة، ووجود مشاكل عند الأطفال للأصوات الكلامية، وصعوبة في رواية القصة.
- صعوبة عرض الوسيلة التعليمية حين يكون الأطفال منشغلين بالأركان، حيث يكون الفصل صغير الحجم، وليس هناك إمكانية لتوزيع الأركان بشكل مناسب حسب الاعتبارات التالية: التهوية، الضوء، وليس هناك إمكانية لإضافة ركن جديد حسب الوحدة.
- وجود صعوبات عند الطفل في مسك القلم، واستخدام اليدين في أداء مهارات مثل التركيب، والقص، والتلوين، والرسم، وعلى الرغم من ذلك، توجد فروق فردية بين الأطفال ويجب على المربية مراعاتها.

› صفي لنا الروضة، البناء، التجهيزات، النظام، التعاون مع زميلتيك.

› تقع روضة فرح في دير غسانة في وسط البلدة القديمة الأثرية، حيث كان هذا المبنى قديماً، ويحتاج إلى الكثير من الترميم والإصلاح، وقد قامت مؤسسة الإغاثة الطبية بالتعاون مع مؤسسات أجنبية أخرى بترميمه وإصلاحه لجعله بيتاً آمناً لأطفال القرية والقرى والبلدات الأخرى التي حولها، وبخاصة بلدة بيت ريما. وهذا المبنى كان مدرسة قديماً، وهو ثاني مدرسة بعد المدرسة الراشدية في القدس، وهذه الروضة تعتبر روضة نموذجية بأطفالها ومربياتها

والمشرفين عليها. وفي هذا السياق أشكر مؤسسة الإغاثة الطبية على دعمهم المستمر للروضة.

ويتكون هذا المبنى من ثلاث غرف صغيرة، وثلاث ساحات، منها ساحة خارجية للعب الخارجي مغطاة بالرمل ومجهزة بالألعاب الخارجية، ويوجد فيها أيضاً مرافق صحية ومغاسل ومشارب للأطفال، ويوجد فيها تجهيزات تناسب كل ركن من أركان الروضة.

يوجد لدى الروضة فلسفة خاصة بها من نظام، وبرنامج سنوي، وخطة عمل لدى المربيات في الروضة، وكل مربية تتبع هذه الفلسفة بقناعة، وتتقبل أي تغير يطرأ عليها.

أما بالنسبة لزميلاتي في العمل، فيتميزن بالنظام والالتزام والأمانة وتحمل كل المسؤولية التي تقع عليهن من أجل مصلحة الأطفال ومنفعتهم.

› صفي زميلتك أحلام وتجربتك معها بجمل قليلة.

› بالنسبة للزميلة أحلام فهي المربية التي نتعلم ونكتسب منها خبرة وتجربة ما تزيد على 28 سنة في مجال التربية في رياض الأطفال. وهي الصديقة والأخت والزميلة في العمل، حنونة مع الأطفال، عادلة، لا تميز بين طفل وآخر، منتظمة، نشطة، مرحة، تحترم خصوصيات الطفل، ومربية تستطيع الاندماج مع الأطفال ومجاراتهم وتلبية رغباتهم.

**مالك الريماوي – مركز القطان**

## الهامش

* قام بالزيارة كل من نادر وهبة وخالد الفني ويوسف كراجة ومالك الريماوي، حيث قام الفريق بالتعرف على الروضة وتصوير بعض أنشطتها وكتابة التقرير.